الرسالة

(عبرانيين: ١١: ٣٣–٤٠؛ ١٢: ١ و ٢)

يا إخوةُ إنَّ القديسيَن أجمعين بالإيمانِ قهروا الممالكَ وعمِلوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأُسود* وأطفأوا حِدَّةَ النارِ ونَجَوا من حدِّ السيفِ وتقَوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشدَّاءَ في الحربِ وكسروا مُعسكراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتهنَّ بالقيامة. وعُذِّبَ آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرونَ ذاقوا الهُزءَ والجَلْدِ والقيودَ أيضاً والسِّجن* ورُجموا ونُشروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غنَمٍ ومَعَزٍ وهم مُعْوَزون مُضايَقون مجهودون* ولم يكنِ العالم مستحقًّا لهم. فكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِد* لأنَّ اللهَ

أحد جميع القدّيسين

في حياتنا الليتورجيّة الكنسيّة نترافق سنويًّا مع الربّ يسوع، بدءًا من ميلاد والدته الكلّية القداسة مرورًا بميلاده وظهوره الإلهي وتعليمه لنا، وصولاً إلى صلبه وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السموات وإرساله الروح القدس على تلاميذه ليذهبوا إلى كلّ العالم ويبشّروا باسمه لخلاص الشعوب جميعها.

في كلّ عيد من هذه الأعياد وغيرها، نؤكّد، بمشاركتنا في الصلوات، على مرافقتنا للأحداث الخلاصيّة وكأنّنا كنّا حاضرين في هذه الأحداث. ونعبّر عن ذلك من خلال التعابير الليتورجيّة، فنقول مثلًا: «اليوم يولد من البتول»، «اليوم ظهرتَ للمسكونة يا رب»، «اليوم عُلّق على خشبة الذي علّق الأرض على المياه»، «اليوم نعمة الروح القدس جمعتنا». هذا لا يعني أنّ الحدث الخلاصي يتكرّر كلّ سنة، بل يعني أنّنا كلّ سنة نؤكّد على قبولنا هذا الحدث وكأنّنا كنّا موجودين حين حدوثه. وكما كان الرب يدعو تلاميذه للسلوك في الطريق التي رسمها، من خلال تعليمه لهم مدّة وجوده معهم على الأرض، هكذا نحن نقف موقفهم، ونسعى كلّ يوم إلى السلوك في طريق الربّ.

في هذا اليوم الذي نقيم فيه تذكارًا جامعًا لكّل الذين سلكوا دروب القداسة، نؤكّد من جديد على قبولنا مشاركة القدّيسين في مسيرتهم التي أدّت بهم إلى أن يكونوا أخصّاء للربّ القدّوس، وهذا معنى أن يكون الإنسان قدّيسًا.

العدد ٢٠١٥/٣٢

الأحد ٧ حزيران

أحد جميع القديسين

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الأول

الكنيسة المقدّسة تذكّرنا كلّ سنة بهدف حياتنا: ألا وهو أن نكون قدّيسين لله، لأنّنا معرّضون أن نضلّ الطريق المؤدّي إلى القداسة وأن يحصل معنا ما حصل مع بعض تلاميذ الربّ وأدّى بأحدهم (يهوذا) إلى خيانته وبالآخر (بطرس الرسول) إلى إنكاره.

لذلك تقرأ الكنيسة على مسامعنا المقطع من إنجيل متّى الذي يحذّرنا فيه الربّ من إنكاره قدّام الناس أو من محبّة الآخرين أكثر مما نحبّه: «فكلّ من يعترف بي قدّام الناس أعترف أنا أيضًا به قدّام أبي الذي في السموات، ومن ينكرني قدّام الناس أنكره أنا أيضًا قدّام أبي الذي في السموات» (مت١٠: ٣٢–٣٣)؛ «من أحبّ أبًا أو أمًّا أكثر منّي فلا يستحقّني. ومن أحبّ ابنًا أو ابنةً أكثر منّي فلا يستحقّني» (١٠: ٣٧).

ماذا يعني أن نكون مستحقّين للربّ يسوع؟

بحسب مفهوم عالمنا، أن يستحقّ الإنسان شيئًا ما أو إكرامًا ما يعني أن يسعى لحقيق المعايير اللازمة لهذا الشيء أو لهذا الإكرام. فلكي يستحقّ الثناء على عمله يسعى الإنسان للقيام بهذا العمل على أكمل وجه محقّقًا الغاية منه، فيكرّمه أصحاب العمل على ما قام به. ولكي يستحقّ الإنسان أن يكون في مرتبة إجتماعيّة مرموقة يجاهد لكي يحقّق الشروط اللازمة لهذه المرتبة. أمّا في حياتنا في المسيح، فماذا يمكننا أن نعمل حتّى نستحقّه، أي نستحقّ أن نكون أخصّاء له؟ إنّنا في كلّ يوم نقع في خطيئة من الخطايا: نفكّر بالشرّ في قلوبنا تجاه الآخرين، نكذب، نسرق، نشتهي مال غيرنا، نحسد، نبغض ... ونحاول بالجهد أن نحافظ على أنفسنا سالمة وطاهرة كما كانت حين طهّرنا الربّ في جرن المعموديّة. فكيف يمكننا إذاً أن نستحقّ الربّ؟

إنطلاقًا من المقطع الإنجيلي الذي يُقرأ على مسامعنا اليوم، نستنتج أن المعيار هو المحبّة. والدعوة هنا أن تكون محبتنا للربّ هي المنطلق، وأن لا نفضّل أيَّ شيء على هذه المحبّة. لكن علينا أن ننتبه إلى أنّ الربّ لم يمنعنا عن محبّة أقربائنا، ولكنّه حذّرنا من تفضيلهم عليه، لأنّنا عندما نحبّهم أكثر منه نكون بذلك قد اعتبرناهم سند حياتنا، وهذا أمر لا يقبله. وإذا تابعنا قراءتنا لقول الربّ يسوع هذا، ندرك ماهيّة المحبّة، إذ يقول: «ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقّني» (١٠: ٣٨). المقصود بهذه المحبّة ليس مجرّد مشاعر بشريّة تجاه الربّ، إنّما عيشٌ نعبّر فيه عن محبّتنا هذه، التي عليها أن تكون على مثال محبّة الربّ لنا، فهو قد بذل نفسه على الصليب بسبب محبّته لنا. أن نحمل صليبه يعني أن نقتدي به باذلين أنفسنا حتّى الموت عن الآخرين، كما فعل هو.

أن نستحقّ الربّ يعني إذًا أن نسلك كما سلك هو، وأن يكون الأول في حياتنا، لا بل أن نعي أنّه هو مصدر حياتنا والمصدر الوحيد، ونحن نحبّه لأنّه أحبّنا أوّلاً (١يو٤: ١٩). ما علينا سوى أن نحافظ على النعمة التي وهبنا أيّاها يوم العنصرة، عندما سكب روحه القدّوس علينا فقدّسنا. لقد ختمنا الربّ بالروح القدس، وهذا ما يقوم به الكاهن في سرّ المعموديّة حين يمسح المعمَّد بالميرون المقدّس معلنًا «ختم موهبة الروح القدس». فالغاية التي نرجوها ونتكلّم عنها، ألا وهي القداسة، هي في الحقيقة البداية. المنطلق هو القداسة، هذه القداسة هي هبة من الله، وليست نتيجة جهد أو عمل نقوم به، لأنّنا خطأة والله يرحمنا لأنّه رحيم: «الله الذي هو غنيّ بالرحمة من أجل محبّته الكثيرة التي أحبّنا بها ونحن أموات في الخطايا أحيانا مع المسيح ... لأنّكم بالنعمة مخلّصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطيّة الله» (أف٢: ٤، ٨).

إنّنا ننطلق في حياتنا في المسيح على أنّنا للمسيح، على أنّنا قدّيسون، وعلينا أن نسلك وفقًا لذلك. غير أنّه في كلّ يوم من أيّام حياتنا علينا أن نحافظ على وضعنا هذا، على قداستنا، طالبين نعمته في كلّ حين، وساعين أن نبذل أنفسنا في المحبة على مثال محبّته. هكذا نكون مستحقّين لنعمته هذه، حاملين صليبه وتابعين إيّاه.

سبَقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضلَ أن لا يكملوا بدونِنا* فنحن أيضاً إذ يُحدِقُ بنا مثلُ هذه السحابةِ من الشهودِ فلْنُلقِ عنَّا كلَّ ثِقلٍ والخطيئةَ المحيطة بسهولةٍ بنا. ولْنسابِقْ بالصبر في الجهاد الذي أمامنا* ناظرينَ إلى رئيسِ الإيمانِ ومكمّله يسوع.

الإنجيل

(متى ١٠: ٣٢–٣٧؛ ١٩:٢٧–٣٠)

قال الربُّ لتلاميذهِ كلُّ مَنْ يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا به قدَّامَ أبي الذي في السموات* ومَن ينكرُني قدَّامَ الناس أنكرُهُ أنا قدَّامَ أبي الذي في السموات* مَن أحبَّ أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقُّني. ومَن أحبَّ ابناً أو بنتاً أكثر مني فلا يستحقُّني* ومَن لا يأخذُ صليبَه ويتبعُني فلا يستحقُّني* فأجاب بطرسُ وقال له هوذا نحنُ قد تركنا كلَّ شيءٍ وتبعناك فماذا يكونُ لنا* فقال لهم يسوعُ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم أنتم الذين تبعتموني في جيلِ التجديدِ متى جلسَ ابنُ البشرِ على كرسيِّ مجدِهِ تجلِسون أنتم أيضاً على إثنَيْ عَشر كرسيًّا

تدينونَ أسباطَ إسرائيلَ الإثني عَشَرَ* وكلُّ مَن ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أماً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجلِ اسمي يأخُذُ مِئة ضِعْفٍ ويرِثُ الحياةَ الأبديةَ* وكثيرونَ أوّلون يكونون آخِرين وآخِرون يكونون أوّلين.

تأمل

كثيرة هي الطرق المؤدية إلى الحياة الأبدية. أما نحن الذين يرغبون في امتلاك هذه الحياة الأبدية، فالكتاب المقدس يُرشدنا إلى طرق الحصول عليها. اننا لن نبسط إلاّ بعض هذه الشهادات بسبب طول العظة، تاركين لمن هم أكثر اجتهاداً عنايةَ البحث عن الأدلة الأخرى. تقول بعض النصوص إنه بالإيمان، لأنه مكتوب: «مَن يؤمن بالإبن فله الحياة الأبدية» (يو ٣: ٣٦). ويقول هو نفسه أيضاً: «الحق الحق أقول لكم: مَن يسمع كلامي ويؤمن بمن أرسلني، فله الحياة الأبدية» (يو ٤: ٣٦). وأحياناً بالاستشهاد من جرّاء الاعتراف بالمسيح، إذ يقول: «ومَن كره حياته في هذه الدنيا حفظها للحياة الأبدية» (يو ١٢: ٢٥). وأيضاً بترك المال والأهل لأجل المسيح: «ومَن ترك أخوة أو أخوات... يرث

الإفخارستيا والكنيسة

لقد أكّدت الكنيسة الأرثوذكسية دائماً أن المسيح بواسطة روحه القدّوس هو الذي يجعل الكنيسة جامعة، هو الذي يجعل الكنيسة أن تتحقق ككنيسة، وأنه عبر الإفخارستيا، أي سر الشكر، تصير الكنيسة كنيسة، وتتحقق ككنيسة، وان كل كنيسة محلية لديها ملء المسيح بالإفخارستيا. الكنيسة الأولى وعت وعرفت قيمة الإفخارستيا، لذا صارت الإفخارستيا هي المحور في الكنيسة. حتى إن هيكلية الكنيسة متأتية من الإفخارستيا.

بعد القرن الرابع وبعد أن صارت الإمبراطورية مسيحية ودخلت العناصر الغريبة إلى الكنيسة فُقد هذا الحس الإفخارستي وحلّ مكانه القانون والناموس والإعتبارات الأرضية البشرية والتدبير. بعد ان كان العقاب الأكبر في الكنيسة هو الحرم من المناولة المقدسة، حلّ مكانه الاستهانة بالقدسات. نسي الشعب المؤمن أنه رغم ان الكنيسة مؤسسة تاريخية (في الزمن) تسير في هذا العالم، إلا أنها تضع أمامها هدفاً أكبر وأسمى هو رؤية ملكوت الله وأن تكون في شركة معه. الكنيسة الأولى وعت أن هذين البعدين التاريخي (المؤسساتي) والأخروي يتحققان فقط في الإفخارستيا. لذلك نرى بولس الرسول يدعو أهل كورنثوس إلى الإجتماع ككنيسة، لكن هذه الدعوة لها بُعد إفخارستي، والتاريخ والآخرة يجتمعان معاً: «اصنعوا هذا لذكري فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (١ كور ١١: ٢٥–٢٦). وفي القداس الإلهي نقول: «إذ نحن متذكرون هذه الوصية الإلهية والصليب والقبر والقيامة والصعود والجلوس عن الميامن والمجيء الثاني الرهيب». الإفخارستيا تؤسس الكنيسة، لذلك قال اللاهوتي افاناسيف: «حيث الإجتماع الإفخارستي هناك الكنيسة، وحيث الكنيسة هناك الإجتماع الإفخارستي». الكنيسة هي فعلاً جسد المسيح في الإفخارستيا، أو بكلام آخر الإفخارستيا تحقق هذا الجسد. كيف ذلك؟

الكنيسة Ekklysia كلمة تعني تلك الجماعة المدعوة لعمل معيّن، لعمل مشيئة الله في هذا العالم وفي الملكوت. إنها كنيسة الله في المسيح، جماعة الناس الذين يخصونه. في العهد القديم كانت خاصية الشعب لله مختومة بدم التيوس والعجول والثيران. أما في العهد الجديد فإن هذه الخاصية قد خُتمت بدم ابنه المتجسد والمصلوب على الصليب. الشعب يأتي ويجتمع معاً بإسم الرب يسوع ليؤلف الكنيسة. إنها ليست مجرد جماعة من البشر، ليست مجرد جماعة المؤمنين به والعاملين بوصاياه بل هي جماعة الساكنين في المسيح يسوع وهو يسكن فيهم بالروح. إنها جسد المسيح، ولكنها لا تملك كياناً بذاتها لأنها تشترك في كيان الكلمة المتجسد الذي يبقى فيها بالروح والأسرار.

صورة الكنيسة جسد المسيح واضحة جداً في الكتاب المقدس. المسيحيون جسد واحد في المسيح (رو ١٢: ٥)، «أنتم جسد المسيح وأعضاؤه أفراداً» (١ كو ١٢: ٢٧)، الجسد هو الكنيسة (كو ١: ١٨، ٢٤، أف ١: ٢٣)، هم جسد المسيح (١ كو ١٠)، والكنيسة هي عروس المسيح (أف ٥، رؤ ٢١). ومن التصق بالرب فهو روح واحد معه (١ كو ٦: ١٧)

جسد واحد، (١ كو ١٢: ٢٠- ٢٧، رو ١٢: ١٥)، أف ٥)، نحن من لحمه ومن عظامه (أف ٥: ٣٠) هو الكرمة ونحن الأغصان (يو ١٥: ١–٨). يبقى أن الكنيسة هي الجسد والمسيح هو رأس هذا الجسد (أف ٥). هذه العلاقة، علاقة الوحدة مع بعضنا كمسيحيين والوحدة مع يسوع رأس الجسد تظهر بكلمات إفخارستية أيضاً. «فلما كان هناك خبز واحد، نحن على كثرتنا جسد واحد لأننا نشترك كلنا في هذا الخبز الواحد» (١ كو ١٠: ١٧) و«مَن يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦: ٥٧). الكنيسة فهمت أنها جسد المسيح وفهمت أيضاً أنها تحققه في الإفخارستيا. هذا ما يتّضح لنا في الإصحاح الإفخارستي في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١١: ١٧–٣٤) حيث نراه يقول لهم متى اجتمعتم ككنيسة اكسروا الخبز (الإفخارستيا)، لأن هدف الاجتماع إفخارستي. لكن ماذا يحدث في هذا الإجتماع؟ الجواب يأتي أيضاً من بولس الرسول في ١ كو ١٠: ١٦–١٧ حيث الجميع يصيرون واحداً بالاشتراك بالجسد الواحد «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح. الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبزٌ واحد جسدٌ واحدٌ لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد». يصيرون جسد المسيح (غلا ٣: ٢٨، أف ٢: ١٥). هذا ما نقوله في القداس الإلهي للقديس باسيليوس الكبير. «نحن الذين اشتركنا في الخبز الواحد والكأس الواحدة فلنصر واحداً مع بعضنا عبر الشركة في الروح القدس». وحدة الجميع في الجسد الواحد تُفهم فقط بالارتباط مع الكلمات الإفخارستية «هذا هو جسدي». ففي يوحنا ٦ ابن الإنسان يعطي جسده ودمه طعاماً للحياة الأبدية. وفي الإفخارستيا يسوع يكون حاضرا بملئه. إننا نؤمن أن هذين الخبز والخمر استحالا إلى جسد ودم ابن الله يسوع المسيح، وكل من يتناول القرابين يحيا بالمسيح ويصير واحداً معه (يو ٦: ٥٧). يصير المسيح الكل في الكل لأنه يحوي كل شيء في نفسه.

الجماعة تصير واحداً بالمناولة، عندما تتناول جسد المسيح وتتحد به وبالتالي تحيا به فتصبح واحداً معه. من هنا يأتي حديث كتاب الذيذاخي (القرن الثاني): كما كان القمح منتشراً فوق كل الجبال وجمع معاً وصار خبزاً واحداً، كذلك أجمع كنيستك من أقاصي الأرض في ملكوتك (٩: ٤، راجع ١٠: ٥). ما وُعد به في المجيء الثاني يُعبّر عنه في الإفخارستيا.

صوم الرسل

يوم الإثنين الذي يلي أحد جميع القديسين والواقع هذا العام في ٨ حزيران يبدأ صوم الرسل الذي يستمر حتى ٢٩ حزيران ذكرى القديسين هامتي الرسل بطرس وبولس، وفيه ننقطع عن أكل اللحوم والبيض ومشتقات الحليب.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www .quartos.org.lb

الحياة الأبدية» (متى ١٩: ٢٩)، أو بحفظ الوصايا «لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد بالزور»، كما ردّ يسوع على الذي دنا منه وسأله: «أيها المعلّم الصالح، ماذا أعمل لأنال الحياة الأبدية»؟ (متى ١٩: ١٦، ١٩). وكذلك بتجنّب الأعمال الشريرة وبخدمة الله، إذ يقول بولس: «أما الآن وقد أُعتقتم من الخطيئة وصرتم عبيداً لله، فإنكم تحملون الثمر الذي يقود إلى القداسة، وعاقبته الحياة الأبدية» (رو ٦: ٢٢).

وهناك طرق كثيرة أخرى للحصول على الحياة الأبدية، وقد تركتها لكثرتها. لأنه بما أن الرب صالح فهو لم يفتح فقط باباً أو بابين بل أبواباً كثيرة لدخول الحياة الأبدية، حتى يتمتع بها الجميع بدون عائق بقدر ما الأمر منوط به. هذا بإيجاز هو التعليم عن الحياة الأبدية التي هي آخر تعليم قانون الإيمان وغاية الإجهار به. ليت الله بنعمته يجعلنا نتمتع بها جميعاً، أنا الذي أعلّم وأنتم الذين يسمعون.

القديس كيرلس الأورشليمي